الأثر العربي الشرقي في القانون الروماني ـ اللاتيني

المحامي أحمد غسان سبانو



على أرض الوطن العربي كان فجر الانسانية ، وأول حضارة عرفها العالم تلك الحضارة التي هي بحق أم الحضارات العالمية ، انها حضارة عربية سامية بدأت مع فجر الانسانية واستمرت دون انقطاع حتى هذا العصر وستبقى مستمرة ما دام على هذا الكوكب نبضة حياة .

ان حضارتنا العربية العريقة تعود الى آلاف السنين الغابرة الا ان دراستنا لتاريخ حضارتنا ما زال في بدايته وقد سبقنا الى هذه الدراسة علماء الغرب فألفوا ووضعوا النظريات والتفسيرات بما يرضي هواهم فقسموا حضارتنا ، وقربوا بعضها وأبعدوا بعضها ، هنا حضارات سامية ، وهنا غير سامية ، هنا حضارة تعود لأقوام هاجرت من الجزيرة العربية ، وهنا أقوام لا نعرف أصلهم وفصلهم ، وهدفهم في ذلك واضح ومعلوم .

من ذلك كانت نظرتنا للتراث متضاربة مختلفة ، فبعضنا يعتبر تراثنا هو التراث العربي الاسلامي ، وبعضهم يعيده للوراء قليلا أو كثيرا ، بعضهم يقول قد انقطعت صلتنا بالماضي ، فنحن والقدماء على فراق . الا أن الحقيقة والواقع أن حضارتنا واحدة ومنشأنا بالاصل واحد . عالمنا العربي وشعبنا واحد ، واباؤنا مهما قسموا او بعدوا ، هم سكان أرضنا العربية ، وتراثهم تراثنا .

الا أن اضاعتنا لتلك الفترات القديمة والمتوسطة القدم في تاريخنا باعد بين التراث مما أوجب علينا البحث والتقصي لنعيد الحق الى نصابه ولنحفظ تراثنا المهدد بالضياع . ولتعرف جماهيرنا صفحات مشرقة من تاريخنا الذي ضمته متاحف ومعاهد التراث الاجنبية ومكتبات الغرب .

من هذه الصفحات ندرس الآن الأثر العربي الشرقي في أهم منجزات الرومان الحضارية ولعلها الوحيدة الا وهي المنجزات القانونية الرومانية لنعرف حقيقة « رومنتها » وتأثير أجدادنا العرب فيها .

تسهل دراسة روما والشعب الروماني لوضوح التأسيس ووضوح التأثير الاجنبي ، ووضوح التكوين .

فلقد نشأت مدينة روما من اتحاد قبائل

من المهاجرين الهندو ـ أوربيين الذين تجمعوا بين نهر « التيبر » ونابولي وسموا باسم اللاتينيين وجاوروا قبائل السابيفيين والاومبريين وقد اتحدوا فيما بينهم وانشأوا مدينة البالونكا عند سفح جبل « ألبان » وعلى بعد عشرين ميلا منها للشمال الغربي انشأوا مدينة لاغراض دفاعية في ٢١/٤/ ٧٥٤ ق٠م على تل البالاتان وأتسعت هذه المدينة فشملت سبعة تلال أشهرها « البالاتان » و « الكابيتول » و « الكيرينال » و « الآفانتان » ٠ هذه المدينة الدفاعية دعيت روما ٠

وكان لهذه المدينة الحظ الوافر فاصبحت هي المركز الرئيسي لشعب اللاتين ٠ وقد تطورت المدينة لتصبح مملكة وبقيت كذلك حتى عام ٥٠٩ ق ٠ م حيث قام النظام الجمهوري الذي بقي حتى عام ٢٧ قبل الميلاد حين اعتلى الحكم في روما « أوغوست » بعد أن انهى حكومة القناصل ٠ وقد مرت الحقوق الرومانية خلال تاريخها في أربعة عهود وهي :

١ ـ عهد نشأة الحقوق ويبتدىء منذ بناء روما عام ٧٥٤ ق ٠ م وحتى سقوط الملكية عام ٥٠٩ ق ٠ م وفي هذا الدور كانت الاعراف والعادات هي التي تحكم وتنظم أمور الناس وما لبثت تلك الاعراف والعادات ان شكلت قواعد قانونية بقيت بايدي رجال الدين ٠

٢ ـ عهد الحقوق الرومانية القديمة : منذ أوائل العهد الجمهوري حتى بدء العصر الأمبرطوري (٥٠٩ ق٠م ـ ١٥٠ ق٠م) ٠

وبهذا العهد توسع الرومان في فتوحاتهم وخالطوا الشعوب المجاورة من يونان وكريت وفينيقيين وكل هذه الشعوب كان للعرب والفينيقيين خصوصاً أثر كبير على حضاراتهم ٠

وبهذا الدور نشأت أقدم النصوص الحقوقية المكتوبة ومنها الالواح الاثنا عشرية عام ٤٤٩ ق ٠ م وكانت الحقوق الرومانية تطبق على الرومانيين ٠ وكان القانون المحلي هو الذي يحكم الشعوب المجاورة والتي أصبحت مع الأيام مستعمرات رومانية ٠ ونتيجة اختلاط الحقوق الرومانية مع أنظمة الحقوق لدى الشعوب الاخرى جرى تطور كبير في الحقوق الرومانية جعلها تبتعد عن البدائية والشكلية وأصبحت أكثر قدرة على استيعاب المسائل المستجدة والمتطورة للمظاهر الحضارية ٠

الا ان السمة الظاهرة هي أن الرومان لم يقوموا بالنقل الحرفي للقانون الاجنبي ٠ بل طوروا مؤسساتهم الحكومية بما يتماشى مع ظروفهم الحضارية ٠

٣ ـ العهد العلمي من عام ١٥٠ ق٠م وحتى عام ٣٠٣ ب ٠ م في عهد الامبرطور قسطنطين وهو أزهى العهود الحقوقية الرومانية وبه ظهر أعظم فقهاء الرومان « فقهاء العهد العلمي » وهم جميعا من أصل فينيقي عربي وأثارهم هي التي سميت فيما بعد « مدونة جوستنيان » كما سنرى ٠

٤ ـ عهد الامبرطورية العظمى (٣٠٣ ـ ٥٦٥ م) من عهد الامبرطور قسطنطين الى موت الامبرطور جوستنيان ولم يكن للابداع دور في هذا العهد بل كانت سمته النقل والتحشية على مؤلفات العهد العلمي ، ولكن في هذا الدور اكتمل التجميع القانوني للمؤلفات والدساتير في مجموعات وصلت

الينا وتبناها نابليون وأخذتها أسرة الحقوق اللاتينية التي تعتمد حقوق نابليون كأساس في قوانينها ٠

فما هي هذه المجموعات ؟

يطلق أسم مدونة جستنيان عادة على ثلاث مجموعات هي كما يلي :

١ ـ مجموعة القوانين والدساتير الامبراطورية وهي تجميع لما صدر من قوانين ودساتير ٠

٢ ـ الموسوعة وتشمل القانون القديم المتمثل في كتابات الفقهاء وهي التي تسمى القانون المدني ٠

٣ ـ النظم : وهو مختصر للقانون المدني وهو بالاساس كتاب مدرسي لطلاب الحقوق ٠

ولتبيان الأثر الشرقي العربي على مدونة جستنيان التي أصبحت مجموعة نابليون ، سندرس الأصول التي استقت منها مدونة جستنيان مصادرها ٠ ثم ندرس طريقة تجميع هذه النصوص وأخيرا ندرس كيف انتقلت الينا هذه النصوص ٠

١ ـ المصادر التي أخذت عنها الحقوق الرومانية ومدونة جوستنيان ٠

وهي مصادر الحقوق عامة :

١ ـ العرف والعادة وهو أساس القوانين وقد كان العرف والعادة بالاساس رومانيين بحتين الا انهما تطورا مع الفتوحات فأخذ عن اليونان وكريت وصقليا وبلاد العرب وذلك بتطور المحيط ونتيجة التجارة وتبادل العلماء والاسرى والعبيد والجيوش والسياح وسواهم ٠

٢ ـ المراسيم والدساتير الامبراطورية والمراسيم والدساتير الصادرة عن حكام الاقاليم وهناك أثر كبير للشرقيين العرب في هذه الدساتير حتى ان صياغة عدد منها صدر بفعل أباطرة عرب من أسرة الامبراطور سبتيم سيفر (١٩٣ ـ ٢١١) م الحمصية وأولاده كركلا (٢١١ ـ ٢١٧) وغيتا (٢١١ ـ ٢١٢) م وآكابالس (٢١٨ ـ ٢٢٢)م واسكندر سيفروس (٢٢٢ ـ ٢٣٥) م بعد ذلك جاء فيليب العربي ٠ (٢٤٤ ـ ٢٤٩) من شهبا ٠

كذلك كان قسم من المراسيم قد صدر من تأثير رؤساء الديوان الامبراطوري (أي ما يعادل رئيس الوزارة٠) أمثال بابنيان من حمص والبيان وبولس ومودستان من الساحل السوري ٠

٣ ـ الفتاوي وهي استنباط الاحكام من النصوص الأساسية وقد مرت الفتوي بمراحل كالتالي :

آ ـ مرحلة اعطاء الفتاوي بشكل حر للجميع٠

ب ـ حصر الافتاء باصحاب الامتياز المعطى من الامبراطور ٠

ج ـ حصر الافتاء بمجلس استشاري برآسة الامبراطور ٠

د ـ ظهور الفقهاء العلميين وظهور المدارس الفقهية ٠

٤ ـ المؤلفات الحقوقية وقد وصلنا منها عدد محدود ويعود حصرا لفقهاء العصر العلمي السوريين وهم غايوس من الشمال السوري وبابنيان من حمص وبولس والبيان وتلميذه مودستان وهم جميعا من الساحل السوري ٠

٥ ـ دور المدارس القانونية (الجامعات) التي كانت تقوم بالتدريس بمدة أربع سنوات أضيف اليها فيما بعد سنة خامسة وأهم هذه الجامعات معهد روما ومعهد « أثينا » ومعهد القسطنطينية ثم معهد بيروت ومعهد الاسكندرية ومعهد القيصرية والثلاث الاخيرات عربيات المنشأ والأقليم ٠

٦ ـ دور المحاكم وقرارت القضاء سواء ما طبق منها الحقوق الرومانية أو ما يطبق القانون الاجنبي الأكثر تطوراً ٠

●● كيف وصلت الينا مدونة جوستنيان ؟

وهذا يقتضي البحث في تطور الحقوق الرومانية حتى اصبحت باسم مدونة جوستنيان أي كيف تشكلت مدونة جوستنيان ؟

وبالتالي كيف أصبحت مدونة جوستنيان قانوناً فرنسيا ؟

وأخيراً كيف دخل القانون الفرنسي الى قوانين البلاد العربية وأصبح مطبقا فيها ؟

أولا : أصول مدونة جوستنيان ٠

كان أول تجميع وتدوين للحقوق الرومانية في عام ٤٤٩ ق ٠ م عندما ظهرت الالواح الاثنا عشرية ٠ الا ان التجميع والتدوين العلمي للقوانين والانظمة والدساتير الرومانية أنما تم عام ٢٩١ م بالشكل التالي مع ذكرأهم المجموعات :

أ ـ المجموعة الأولى المجموعة الجريجورية الصادرة عام (٢٩١) م في عهد دقلديانوس وسميت جريجورية نسبة لجامعها وقدضمت الدساتير من عهد هادريان الى عهد دقلديانوس مرتبة حسب تاريخ صدورها ٠

ب ـ المجموعة الهرمونية نسبة لجامعها هرموجنيان وكملت سابقتها وصدرت بعد عدة سنوات منها ٠

جـ ـ المجموعة النيودوزية نسبة الى الامبراطور نيودوز الثاني وصدرت عام (٤٣٨) م شاملة للدساتير من عهد قسطنطين حتى تاريخ صدورها ٠

د ـ مجموعة جيستنان وتضم ثلاث مجموعات :

١ ـ مجموعة القوانين ونظم الدساتير الامبراطورية وصدرت نهائيا عام ٩٢٩ م ٠

٢ ـ الموسوعة : وتشمل القانون القديم متمثلا بكتابات الفقهاء وصدرت عام ٥٣٣ م ٠

٣ ـ النظم : وهي مختصر القانون الروماني ووضعت بالاساس لغرض تدريسي ٠
وصدرت عام ٥٣٣ ٠

ثانيا : من جستنيان الى نابليون :

صدرت مدونة جستنيان في عهده وبقيت مطبقة حتى القرن الثامن الميلادي وفي عام ٧٤٠ وضع الامبراطور ليون باللغة الاغريقية مختار القوانين ٠ وفي القرن التاسع قام الامبراطور بازيل (٧٦٧ ـ ٨٧٩) م بوضع مجموعة سماها « الموجز في القوانين » ٠

وفي نهاية القرن التاسع وضع الامبراطور ليون السابع المجموعة « البازيليكية » التي طبقت حتى سقوط القطنطينية بيد « فراك » عام ١٤٥٣ م ٠

وكل المجموعات المذكورة أخذت نصاً وروحاً عن مدونة جوستنيان وذلك في الامبراطورية الرومانية الشرقية (بعد الانقسام الى شرقية وغربية) أما في الامبراطورية الغربية فقد طبقت مدونة جوستنيان على فترات وخلال مناطق مختلفة وصدرت عليها هناك عدة تعديلات ٠

في أواخر القرن الحادي عشر قامت في أوربا حركة تهدف الى أحياء القانون الروماني وكان المركز الرئيسي لهذه الحركة مدينة بولونيا في ايطاليا وقد أسس هذه الحركة أرنويولس وأفتتح مدرسة لتدريس مجموعات جستنيان التي كانت تسمى مجموعة القانون المدني وأخذ أرنويولس وبعض الفقهاء بشرح المدونه وتفسيرها ووضع الهوامش عليها وجمعت أعمالهم باسم «الحاشية الكبرى » التي أصدرها أكورسيوس (١١٨٢ - ١٢٢٠) م وعلى أعقاب هذه المدرسة ظهرت مدرسة المحشيّن اللامعين وعلى رأسها الفقية بارتول (١٣١٤ - ١٣٥٧) م ٠

وفي فرنسا وعلى يد الفقية كيجاسن (١٥٢٢ - ١٥٩٠) بدأت الدراسة العلمية لمدونة جوستنيان٠

وظهرت حركة مماثلة في المانيا تزعمها الفقية سافيني (١٧٧٩ - ١٨٦١) م وفي فرنسا كان هدف الحكومات الفرنسية توحيد القوانين المطبقة في فرنسا بمجموعات وقد عجزت الملكية عن تطبيق هذا الهدف كما وعجزت الجمهورية عن ذلك أيضاً الا أن نابليون في عهد القنصلية أصدر المجموعة النابليونية في ١٨٠٤/٣/٢٧ ٠ وذلك نقلا عن مدونة جستنيان ٠ وقد فرضتها فرنسا على الدول التي أستطاعت السيطرة عليها آنذاك وعرفت الحقوق الفرنسية بأسم الحقوق اللاتينية القانون اللاتيني في الدول العربية ٠

تعتبر مصر أولى الدول العربية التي طبقت الحقوق الفرنسية وقد كانت مصر تطبق الشريعة الاسلامية التي تعتبر مصدر التشريع ٠ وأخذت بعض القوانين الوضعية بالظهور اعتبارا من أول القرن التاسع عشر ٠

وظهر بالتالي القضاء المختلط والقوانين المختلفة التي أعدها أحد المحامين الفرنسيين المقيمين في مصر وأسمه « مونوري » من هذه القوانين القانون المدني المختلط الذي كان في حينه يعتبر ورقة رابحة للتخلص من الامتيازات الاجنبية ٠

ثم ظهرت المحاكم الأهلية التي تطبق الشريعة الاسلامية وأضافة لها القوانين الوضعية ٠ وتخلصاً من هذا الازدواج بين قانون مختلط وقانون أهلي وكذلك الامر بالنسبة للمحاكم فقد شكلت لجنة أعدت مشروعا أخذت ثلاثة أرباعه من القوانين المصرية المختلطة والاهلية التي أساسهما القانون الفرنسي ٠ أما الربع الرابع فقد أخذ أحكامه من الشريعة الاسلامية السمحاء وطبق هذا المشروع كقانون عام ١٩٤٨ ٠

وفي سورية طبق القانون المصري بنصه وحرفيته عدا تبديل أسم الدولة وبعض التبديلات البسيطة الاخرى وصدر في سوريا ١٩٤٩ ٠ كذلك طبق في لبنان والعراق وليبيا وغيرها من الدول العربية ٠

الأثر العربي الشرقي في الحقوق الرومانية :

ويتجلى هذا الأمر في مصادر الحقوق الرومانية وفي متنها وفي طريقة تجميع هذه الحقوق ٠

١ ـ الأثر العربي الشرقي في مصادر الحقوق :

ففي العرف والعادة كان لاختلاط الرومان المباشر مع البلاد العربية وسوريا على الخصوص والمستعمرات الفينيقية القديمة أو الدول التي كان للفينيقيين والعرب عموماً تأثير مباشر عليها مثل اليونان وكريت وغيرها ونتيجة للحروب والاسرى والتجارة والسياحة وسواها كان التأثير العربي للعرف والعادة الرومانية ٠

أما في المراسيم فانها أيضا صادرة عن تأثير هذا الاختلاط المذكور ٠ وكنا قد ذكرنا ان هناك خمس أباطرة سوريين ولا أقل عن أربعة رؤساء دواوين (رؤساء وزاراة) عرب سوريين حكموا روما واصدروا الكثير من المراسيم نذكر أسمائهم كما يلي :

الاباطرة : أسرة سيفير الحمصية وقد حكمت على الشكل التالي : سبتيم سيفر (١٩٣ - ٢١١) م كركلا ((٢١١ - ٢١٧) وغيتا (٢١١ - ٢١٢) م وآكابالس (٢١٨ - ٢٢٢) م واسكندر سيفروس (٢٢٢ - ٢٣٥) م ٠

ثم جاء امبراطور آخر من أسرة سورية عربية من مدينة شهبا هو الامبرطور فيليب العربي الذي حكم ما بين عامي (٢٤٤ - ٢٤٩) م ٠

أما رؤساء الدواوين والحكام البريتوريين (القضائيين فنذكر منهم : بابنيان / وبولس / واولبيان / وموديستان / ٠

كما وان هناك الكثير من المراسيم التي صدرت تخص مفتين عرب نظمت الفتوى أو أعطت كتابات بعض المفتين أولوية في التطبيق نذكر من هذه المراسيم ما يلي :

١ ـ دستور قسطنطين الصادرة عام ٣٢١ م الذي أمر فيه بعدم الاعتداء بالحواشي التي وضعها الفقهاء أولبيان وبولس على كتاب الفتاوي للفقيه بابنيان وكل من ذكر من أصلي عربي سوري ٠

٢ ـ دستور قسطنطين الصادرة عام ٣٢٧ م الذي يعطي لكتاب الاحكام للفقيه بولس قوة رسمية مطلقة ٠

٣ ـ قانون الاسانيد الصادرة عن تيودوز الثاني أمبراطور الشرق ٠ وفالنينيان الثالث امبراطور الغرب الصادرة عام ٤٢٦ م الذي نظم بموجبه طريقة الاعتماد على الافتاء ٠ فقد أعطى هذا القانون لكتابات كل من غايوس وبابنيان وبولس واولبيان وموديستان وهم جميعاً من العرب السوريين قوة القانون ٠ وقد نظم الاستدلال بآرائهم على الشكل التالي: اذا أجمع هؤلاء الفقهاء على رأي في مسألة معينة كان رأيهم ملزماً للقاضي ٠ فان لم يجمعوا الزم القاضي بأخذ رأي الاكثرية وفي حال التساوي على القاضي الاخذ بالرأي الذي فيه الفقيه بابنيان ٠ فان لم يكن لبابنيان رأي كان للقاضي حرية اختيار ما يناسبه ٠

اثر العرب في الفتاوي :

وقد ذكرنا بعض هذه الأثار في البحث السابق ونضيف أن أهم كتب الفتاوي انما صدرت عن الفقهاء الخمسة (فقهاء العصر العلمي) المذكوريين وهم عرب سوريين ٠ وسنرى ان مدونة جوستنان ان هي الا نتف من فتاوي الفقهاء كانت في معظمها لمفتين عرب سوريين ٠

اثر العرب في المدارس الحقوقية :

المدارس الحقوقية التي كانت معروفة في ذاك

المعهد هي ست مدارس : روما والقسطنطينية واثينا والقيصيرية وبيروت والاسكندرية ٠ ونرى ان المدارس الثلاث الاخيرات مدارس شرقية علماً بأن اهم هذه المدارس وأكثرها أثرا على الحقوق الرومانية هي مدرسة بيروت وسنتحدث عنها فيما بعد ٠

المحاكم وقرارات القضاء :

ليس من السهل تتبع أثر العرب في هذا المصدر من مصادر الحقوق لتشعب الموضوع وكثرته وضياع الوثائق والمؤيدات التي تظهر هذا الأثر الا أن ما قلناه عن أثر الشرق في العرف والعادة في الحقوق الرومانية ينطبق هنا أيضاً ٠

وثمة تأثير آخر مهم لا بد من ذكره الا وهو أثر المؤلفات الحقوقية في الحقوق الرومانية ٠ولدينا قائمة بمؤلفات كثيرة لحقوقيين عرب ورومان ٠ الا اننا لا نعرف ولم يصلنا الا مؤلفات محدودة هي بكليتها لفقهاء الدور العلمي المذكورين ٠ وقد ذكر ان غايوس قد ألف كتاب النظم الذي وصلنا كاملا وان بابنيان ألف : (١٩) مؤلفاً في المناقشات القانونية و (٣٧) مؤلفاً في المسائل القانونية وله كتاب « الاسئلة » وكتاب « الاجوبه » وله أيضاً كتاب « الفتاوي » ٠

أما أولبيان فاهمكتبه كتابه المشهور «كتاب القواعد » وكتاب « الاستشهادات » ٠

وبولص ألف الكثير من المؤلفات الفقهية وخصوصاً تعليقاته على كتاب بابنيان وله كتاب « التقريرات المأثورة » ٠

ومودستان له مؤلفات في الحقوق كتبها باللغة اليونانية ٠

وأن أهم الكتب التي وصلتنا هي كما يلي :

١ ـ كتاب القواعد للفقيه أولبيان وقد وصل الينا بصورة مختصرةكما جاء وصفه له على لسان أحد كتّاب القرن الرابع الميلادي ووصل الينا أيضاً عن طريق مخطوط دوّن في نهاية القرن العاشر الميلادي ٠

٢ ـ كتاب النظم للفقيه كايوس السوري وقد وصل الينا كاملا مما يعد أصدق وأبرز مصدر علمي عن الحقوق الرومانية وقد عثر عليه باحدى كنائس فيرونا بايطاليا عام ١٨١٦ م ٠ وقد تبين ان الكتاب قد قشط وأزيل عن ورقاته وكتب فوق الاوراق كتاب آخر يتضمن نصوصاً دينية ٠ الا أنه تم اعادة النص الاساسي بعد معالجته بطرق كيميائية خاصة ، الا أن هناك بعض الصفحات الناقصة التي عوضت بما عثر من أوراق بردى بمصر تتضمن الصفحات الناقصة ٠

ويعتبر هذا الكتاب أقدم كتاب عن الحقوق الرومانية وصل الينا والتي كسفت بنورها شمس جميع ما تقدمها ولعل ذلك سر فقدان آثار من تقدمه من الفقهاء ٠

وقد جاء ترتيب هذا الكتاب كما ترتب كتب الفقه والقانون عندنا حاليا فيبدأ بالقواعد المتعلقة بالاشخاص ثم الأشياء فالاموال والدعاوي وقد أخذ عنه جوستنيان الترتيب ومعظم الاحكام في الكتاب الذي صدر عام ٥٣٣ بنفس الاسم ضمن مدونة جوستنيان ٠

٣ ـ كتاب الاحكام « سانتانس » للفقيه بول ولم يصل بصورته الاصلية بل بصورة مختصرة له عن طريق المجموعة القانونية التي وضعها الملك الاريك الثاني ملك القوط الغربي عام ٥٠٦ م ٠

٤ ـ الكتاب السوري الروماني : وهو من أكثر الكتب أثارة للجدل ... كما سنرى وقد صدر هذا الكتاب باللغة اليونانية ثم ترجم في القرن الخامس الميلادي الى السريانية ثم ترجم الى العربية في القرن الثامن الهجري وكان يتضمن بعض القواعد القانونية التي كانت مطبقة في سوريا في العهد الروماني ، اضافة الى القوانين الرومانية ٠

الأثر العربي والسوري في متن مدونة جوستنيان :

قلنا أن مدونة جستنيان تشتمل على ثلاث مجموعات الاولى : مجموعة القوانين والدساتير الامبراطورية وهي تشبه الجريدة الرسمية عندنا حاليا ٠ والثانية الموسوعة وتشتمل القانون القديم وتتمثل في كتابات الفقهاء وهي التي تسمى القانون المدني ٠ وأخيرا النظم وهو مختصر القانون المدني وهو بالاساس كتاب مدرسي لطلاب الحقوق ٠

أ ـ فالاثر العربي في مجموعة القوانين والدساتير بالطبع محدود وقد ذكرنا أن العرب شاركوا في القوانين والدساتير الرومانية سوا من ناحية اصدارها بصفتهم قد حكموا روما كأباطرة (أسرة سبيتم سيفر) وفيليب العربي « لمدة أكثر من خمسين سنة٠ أو من ناحية أخرى في مشاركة العرب بالحكم كرؤساء دواوين (وزارات) وكحكام بريتوريين أو كأعضاء في مجالس الاحكام وذكرنا عددا من الدساتير التي تخص العرب ٠

ب ـ أما أثر العرب في الموسوعة التي تحتوي على القانون القديم المتمثل في كتابات الفقهاء والتي أصبحت فيما بعد تعرف باسم القانون المدني والتي أخذ عنها نابليون وبالتالي القوانين المدنية الحالية لكثير من الدول الاجنبية والعربية٠

فقد صدرت استنادا لاقوال ٣٨ فقيها وذلك على شكل فقرات (مواد) فكان مجموع فقرات المواد ٩١٢٤ فقرة وقد ذكر فيها أسماء للفقهاء بعدد (٣٦٦٥) مره ٠ فكان حصة فقهاء العصر العلمي الخمسة العرب السوريين على الشكل التالي :

١ ـ غايوس أخذ منه ٥٣٦ فقرة وذكر فيها ٤ مرات ٠

٢ ـ بابنيان أخذ منه ٥٩٦ فقرة وذكر فيها ١٥٣ مرة ٠

٣ ـ أولبيان أخذ منه ٢٤٦١ فقرة وذكر فيها ٢٠ مرة ٠

٤ ـ بولس أخذ منه ٢٠٨٧ فقرة وذكر فيها ٤٥ مرة ٠

٥ ـ مودستين أخذ منه ٣٤٥ فقرة وذكر فيها ٢ مرة ٠

المجموع	٦٠٢٥	٢٢٤ مرة ٠
من أصل	٩١٢٤	٣٦٦٥ ٠

يضاف الى ذلك ما أخذ عن تلاميذ هؤلاء الفقهاء أو عمن اشتهر من مدرسة بيروت العربية٠ ويبلغ عدد الفقرات التي أخذت منهم ١٣٢٩ فقرة فيكون المجموع (٧٣٥٤) فقرة ٠

وأهم الفقهاء المذكورين :

١ ـ سكتيوس بمبونيوس وأخذ منه ٥٥٨ قطعة ٠

٢ ـ كنتوس سرفيديوس شيفولا وأخذ منه ٣٠٧ قطعة ٠

٣ ـ كالمسترات وأخذ منه ١٠١ قطعة ٠

٤ ـ أريوس ميندر وأخذ منه ٦ قطع ٠

٥ ـ اليوس مرسيانوس وأخذ منه ٢٨٢ قطعة ٠

٦ ـ كالوديوس تريفونينوس وأخذ منه ٢١ قطعة ٠

٧ ـ ليسينوس روفينوس وأخذ منه ١٧ قطعة ٠

٨ ـ مبليوس ماسير وأخذ منه ٦٢ قطعة ٠

٩ ـ فلور نتينوس وأخذ منه ٤٢ قطعة ٠

مع ملاحظة ان الأسماء والفقرات مأخوذة عن بلمندو « مدونة جوستنيان » ترجمة المرحوم عبد العزيز فهمي « الملاحق » ٠

جـ ـ النظم أو المختصر وتتألف من أربعة كتب الاول مؤلف من ٢٦ باباً والثاني ٢٥ باباً والثالث ١٧ باباً والرابع ١٨ باباً وكل باب مقسم الى بنود ٠ وقد أخذت عن مؤلفات فقهاء العصر العلمي العربي، فكانت في معظم نصوصها منقولة عن كتاب النظم لكايوس وقد أخذت نفس خطة الكتابة من حيث التنظيم والتبويب ٠

ولقد ترجم هذا الكتاب الى العربية عن نص بلوندو من قبل المرحوم عبد العزيز فهمي ونشر عام ١٩٤٦ بأسم مدونة جستنيان ٠

الأثر العربي والشرقي في تجميع المدونة وتسجيلها:

١ ـ في مجموعة القوانين :

صدر الامر من الامبراطور جوستنيان بتاريخ ٥٢٨/٢/٣ بتشكيل لجنة برئاسة تريبونيان (وزير العدل) وهو خريج معهد بيروت وعضوية نيوفيل استاذ مدرسة القسطنطينية ومن استاذ معهد بيروت ليوليد ستوس ، وقد صدرت في ٥٢٩/٧/٤ ٠

ونظراً لوجود تضارب في ضمنها شكلت لجنة برئاسة وزير العدل تريبونيان والاستاذ دورنية استاذ معهد بيروت وثلاثة من المحامين ٠

ب ـ في الموسوعة :

وقد جمعت بعد تشكيل لجنة صدرت بدستور في عام ٥٣٠ واللجنة مؤلفة من وزير العدل المذكور وعضوية استاذين من معهد بيروت وهما دورنيه واناتوليوس واستاذين من مدرسة القسطنطينية هما نوفير وكرانيتو واحد عشر محاميا واحد كبار موظفي الدولة الذي كان استاذا سابقا لمدرسة بيروت وقد اتمت اللجنة عملها في عام٥٣٣وأرجعته الى ٣٨ مؤلفا فقهيا ٠

النظم : المختصر للقانون الروماني :

وقد قام بوضعه لجنة ثلاثية مكونة من وزير العدل والاستاذ دورنيه استاذ مدرسة بيروت والاستاذ نيوفيل استاذ القسطنطينية وصدرت في عام ٥٣٣ ٠

ومن الفقهاء الذين عملوا في هذه اللجان كل من « استيفانوس » و « تلليليبوس » و « تيودور درموبوليس » و « سيريل » ٠

وقد لاحظنا الاشتراك الفعلي لاساتذة مدرسة بيروت للحقوق أو طلابها اشتراكا فعليا في جمع وتدوين مدونة جوستنيان ٠ وهؤلاء اما ان يكونوا عربا سوريين أو زائرين بيروت للدراسة فيها الا انه لا يعرف بالضبط جنسيتهم ٠

وختاما للبحث نوجز نبذة عن حياة فقهاء العصر العلمي ولمحة عن مدرسة بيروت ٠

فقهاء العصر العلمي العرب :

وقد وصف بلوندو الفقهاء العرب الخمسة غايوس بابنيان وأولبيان وبولس ومودستان

فقال : « ان هؤلاء الاربعة وقبلهم قد تركوا آثارا حقوقية تكاد تكون المرجع الوحيد للحقوق الرومانية ، وهي التي وصلت الينا تقريبا دون غيرها » ، ويضيف واصفا حالة الفقه القانوني بعد زمانهم :

« فقد أعقبه ظلام حالك حدث فجأة وبدون أية فترة انتقال تتوسط الحالتين ، فكان بابنيان وبولس واولبيان ومودستان اذ قضوا جروا معهم الى القبر سر علم الكلام ذلك العلم العجيب الذي يقول عنه الفيلسوف ليبنتز انه تكاد الدقة فيه لا تقل عن دقة المهندسين » ،

وبعد انتهاء عصر هؤلاء الفقهاء اضمحل دور الفقه في القانون الروماني فكان الفقيه بعدهم يقتصر بعمله على النقل والتحشية على مؤلفاتهم فقط ،

فمن هم هؤلاء الفقهاء ؟ :

١ ــ غايوس :

وهو أقدم الفقهاء الخمسة وقد جاء ذكره في دستور فالنتيان (قانون الاساتيد) الذي أشرنا اليه ، وقد لمع نجم غايوس في فترة حكم الامبراطور مارك أوريل (١٦١ ــ ١٨١) م ، ومعلوماتنا عن حياته قليلة جدا ، وقيل ان أصله يعود للشمال السوري ولكن لا يمكن تحديد أصله بشكل دقيق جدا ،

وتعرف مؤلفاته بشكل جيد فله مدونته الخاصة التي تسمى (المختصر) وقد كانت رائجة لدى كافة طلاب الحقوق حتى وصلت الى جستنيان فكانت أساسا للجزء المسمى (النظم) وقد أمر جستنيان باعتبار هذا الجزء كتابا رسميا لتعليم الحقوق والفقه للشبان ،

وذكرنا كيف وصلنا كتاب غايوس هذا في الكتاب الذي قشط منه تأليف غايوس ودوّن بدلا عنه أدعية كنسيه ولكن أمكن اعادة النص الاصلي بالطرق الكيميائية ،

٢ ــ اميل بابنيان او اميليوس بابنيانس :

ولد أميل بابنياس في مدينة حمص عام ١٤٢م وقتل عام ٢١٢ م وقد درس الحقوق في بيروت ثم أصبح استاذا في معهد بيروت للحقوق .. ويعتبر بابنيان أشهر الفقهاء في العالم وفي كل العصور ، وقد استدعي الى روما عام ١٩٨ م من قريبته « جوليادومنه » ، زوجة الامبراطور الحمصية « سبتيم سيفر » فكان حاكما قضائيا ثم رئيس مجلس الاحكام ورئيسا للديوان (للوزراء) ثم قائدا للحرس الامبراطوري ونائبا للامبراطور أثناء غيابه وكانت له رسالته في الدفاع عن الحق وعن العبيدلانهم أحرار برأيه بالفطرةواشتهر بالدفاع عن النساء لان لهن من الحقوق برأيه ما للرجال ،

وقد قتل بابنيان بأمر من الامبراطور كركلا (ابن سبتيم سيفر الذي قتل شقيقه الامبراطور غيتا عام ٢١٢ م) بفأس لان بابنيان رفض كتابة دفاع وتبرير لكركلا تبيح للاخير قتل أخيه دفاعا عن النفس وكان جوابه المشهور الذي سبب قتله « ان ارتكاب جريمة قتل الوالدين ايسر من تبريرها » ويعني تبرير قتل كركلا لاخيه وقال : « ان تبرير قتل النفس ليس اسهل من اقتراف القتل » ،

وقد وصف كركلا بانه (قاتل أخيه وبابنيان) لشهرة « بابنيان » وعقب مقتل غيتا قام كركلا بقتل كل من له علاقة بأخيه فقتل ما يزيد عن عشرين ألفا من ذكور وأناث وقال المؤرخ جيبون

في هذا الخصوص «ذرف الاصدقاء والاسرات الدموع خفية على اعدام هؤلاء المواطنين ولكن اعدام بابنيان كان محزنا بوصفه كارثة عامة » .

وقد ألف بابنيان « ١٩ » مؤلفا في المناقشات القانونية و « ٣٧ » مؤلفا في المسائل القانونية . وله كتابان مشهوران جدا هما « الأسئلة » و « الأجوبة » وقد كان كتابه « الأجوبة » مقررا في برامج السنة الثالثة في مدارس الحقوق الرومانية.

كذلك له كتاب آخر لا يقل شهرة عن سابقيه وهو كتاب « الفتاوى » .

ويقول بلوندو عنه « ان التراث العظيم الذي تركه لم يتركه أي روماني فقيه آخر » . وقد أدخل لا أقل من ٥٩٦ فقرة من كتاباته في موجز جستنيان وذكر فيه ١٥٣ مرة . وقد لقبه الرومان بأمير الفقهاء وأكراما له أقيم تمثالة في مدخل قصر العدل الحالي بروما .

٣ — يوليوس بولس :

محام وفقيه عربي سوري من الساحل السوري وكان أستاذا في مدرسة بيروت للحقوق وزميلا وصديقا لبابنيان وقد استدعاه الاخير الى روما في عهد الامبراطور سبتيم سيفر وكان عضوا في مجلس الاحكام (من العدول أي الاعضاء) في عهد رئاسة بابنيان للمجلس وقد استلم عدة مناصب في روما . ووصل الى منصب رئاسة مجلس الاحكام .

ترك كثيرا من المؤلفات وخصوصا تعليقاته وشروحه على مؤلفات بابنيان . وقد رأينا انه صدر دستور بعدم الاعتداد بحواشيه المدونة على كتاب بابنيان،كذلك الف كثيرا من كتب التقريرات والقواعد باسم « التقريرات المأثورة » وقد وصلت الينا هذه التقريرات . وهو من المؤلفين الخمسة الذين وردذكرهم في قانون الاساتيد المذكور .

٤ — دومتيوس اولبيان :

وهو من ابناء صور في الساحل السوري وكان استاذا في معهد بيروت للحقوق واستدعاه بابنيان ليكون مساعدا له في روما واستلم منصب عضو في مجلس الاحكام ثم رئيسا له وبعد مقتل بابنيان استلم حاكما قضائيا ورئيسا للديوان (رئيس وزارة) وقد جرده الامبراطور السوري «اكابالس» خليفة « كركلا » من مهامه لكن الامبراطور اسكندر سيفروس أعاده مستشارا .

وقد أدخل اصلاحات كثيرة على القضاء ولكنها أثارت عليه نقمة بعض الجهات وكذلك قام باصلاحات في الجيش مما آثار عليه الجنود فدخلوا القصر الامبراطوري ليلا وقتلوه أمام الامبراطور اسكندر سيفروس ووالدته رغم حماية الامبراطور له .

ويؤخذ عليه اضطهاده للمسيحيين في عهده وأتهم بقتل فلافيانوس وكرستوس رئيس مجلس الاحكام .

وهو أكثر فقيه أخذ منه في كتاب الديجست (المختار أو الموجز) من مدونة جستنيان اذ أخذ منه ٢٤٦١ قطعة وذكر فيها ٤٠ مرة .

وقد كرمه الرومان بان اطلقوا أسمه على بازيليك وقصر عدل روما التي بنيت في عهد تراجان وبناها ابولودر الدمشقي .

كذلك كرمه الايطاليون بان وضعوا تمثاله على مدخل قصر العدل الحالي في روما جانب تمثال بابنيان .

٥ ـ هيرنيوس مود ستينوس : او «مودستان»:

وهو من أصدقاء وطلاب اولبيان ومن مدينة صور على الساحل السوري وقد درس الحقوق في بيروت وأصبح استاذا فيها واستدعاه اولبيان الى روما ليقوم بمساعدته في أعبائه هناك وذلك في عهد الامبراطور اسكندر سيفيروس •

له عدة مؤلفات كتب بعضها في اليونانية وقد ذكر في المدونة مرتين ومن آثاره أخذت ٣٤٥ قطعة •

معهد بيروت للحقوق :

برزت مدرسة بيروت للحقوق كأشهر مدرسة للحقوق الرومانية وأطول المدارس عمرا رغم انها لم تكن الوحيدة كما رأينا ويبدو أن سبتموس سيفروس الامبراطور الروماني من أصل سوري (١٩٣ ـ ٢١١ م) بدليل انهم قد خلدوا ذكره في بيروت بمعبد انشيء له ووضع داخل المعبد تمثال للامبراطور • وقد شجع المدرسة خلفاء سبتموس السوريين • وكانت اتجاهات المدرسة تصطبغ بالصبغة اليونانية أكثر منها رومانية عكس مدينة بيروت التي كانت رومانية أكثر منها يونانية •

لقد اجتذبت مدرسة بيروت الطلاب سواء العرب أو الاجانب وذلك من مختلف مناطق الامبراطورية • ومن خريجي المدرسة كثير من الاباطرة ورؤساء الحرس الامبراطوري والحكام القضائيين ورؤساء الديوان (الوزارة) وكثير من الوزراء والعظام •

وكان لاساتذة المدرسة شهرة فائقة وتأثير وتأثير كبير في مؤلفاتهم على الحقوق الرومانية كما رأينا وهذا السبب هو الذي جعل من مدرسة بيروت للحقوق أكاديمية جامعية ذات شهرة عالمية •

وقد أطلق عليها الامبراطور جستنيان جامع المدونة (الأم المرضعة للحقوق الرومانية) •

كانت الدراسة في المدرسة لمدة أربع سنوات زادها الامبراطور جستنيان الى خمس سنوات لدراسة المزيد من الدساتير الرومانية •

وكان طلاب المدرسة معفيين من الخدمة العسكرية على ما يبدو من نص دستور صدر استنادا لطلب فتوى رسمي صادر عن أحد طلبة مدرسة بيروت للحقوق • وكان الجواب ان الطلاب معفون من الخدمة العسكرية أو أي خدمة عامة الزامية قبل تخرجهم أو بلوغهم سن الـ ٢٥ •

ولدينا نصوص كثيرة حول حياة الطلاب في هذه المدرسة • وقد كانت الدروس في النهار ، عدا ساعات الليل المخصصة لدراسة الطلاب وكانت المدرسة تعطل بعد ظهر يوم السبت وطوال يوم الاحد من كل اسبوع •

ويبدو أن الطلاب كانوا يشكلون جمعيات في المدرسة • كما وان هناك الكثير من الحوادث الطريفة التي وقعت في المدرسة والتي ذكرتها النصوص التاريخية وكثيرين من طلاب المدرسة كانت لهم شهرتهم وقد ورد ذكر بعضهم في هذا البحث ، وذلك على مختلف مراحل تاريخ المدرسة •

وقد قضى زلزال حدث في (٦/٦/٥٥١م على المدرسة وهدمها فوق طلابها وأساتذتها كما هدم مدينة بيروت وكانت ضحية الزلزال ثلاثين الف شخص من سكان بيروت ومنهم عدد كبير من الطلاب الاجانب ابناء الاسر النبيلة •

الا أن تهدم المدرسة لم يوقف نشاط المدرسة فنقلت الدراسة الى مدينة صيدا ريثما يتم بناء الجامعة من جديد ولكن حدثت كارثة قبيل تدشين أبنية الجامعة الجديدة في عام ٥٦٠ م اذ التهمت النيران البناء بأكمله ، وبعد هذا لم نعد نسمع أي خبر عن مدرسة أو معهد بيروت للحقوق ،

بعد هذا الاستعراض للاثر الشرقي والعربي على الحقوق الرومانية نجد من يثير قضية مخالفة تماما هي أثر الحقوق الرومانية على الشريعة الاسلامية مدعيا بأن الشريعة الاسلامية قد اخذت عن الحقوق الرومانية ،

وقد أشيع هذا الموضوع بحثا اعتبارا من القرن التاسع عشر وبالتحديد بعد اكتشاف الكتاب السوري الروماني عام ١٨٦٢ على يد الاستاذ لاند ، وقد ايد أولا المستشرقون نظرية أخذ الشريعة الاسلامية كثيرا من احكامها عن الحقوق الرومانية ولكن تراجع الكثير من المستشرقين عن هذا الرأي نتيجة تدقيق الابحاث ودراسة نظريات المشرعين العرب والفقهاء وأصحاب الاجتهاد ومقارنتها بالقانون الروماني وكذلك سائر الفقهاء وأصحاب المذاهب الاسلامية بما فيهم الا وزاعي الذي سكن قرب بيروت وكذلك انقضاء اثر مدرسة بيروت للحقوق قبل ظهور الاسلام ،

وبالعكس فقد اتجهت الانظار الى الأثر الشرقي والعربي على الحقوق الرومانية وكان من أهم الباحثين في هذا الموضوع كولينه ،

ومما يذكر عن عظمة تاثير الشرق والعرب على الرومان ان قال جوفيات الروماني في نقد ساخر « ان العاصي ـ السوري ـ أخذ يصب في التيبر ـ الروماني » ،

وبالختام فقد لاحظنا تأثير حضارتنا العربية على المصادر التي اخذت منها الحقوق الرومانية وكيف كان لنا دور كبير في تطوير وتوسيع الحقوق الرومانية في مختلف مراحلها ومختلف مصادرها كذلك رأينا مدى اسهامنا في متن الحقوق الرومانية التي وصلتنا وأخيرا رأينا دور العرب والسوريين خاصة في تجميع هذه الحقوق حتى صدرت أخيرا مدونة جستنيان ،

والآن ، اليس من حقنا ان نقول ان الحقوق الرومانية التي جاءت في مدونة جستنيان هي من تاثيرنا ووضعنا ؟

وبالتالي فان قانوننا السوري أو المصري أو العراقي وكل من أخذ عن القانون الفرنسي انما جاء من صنعنا وما هي الا دورة التشريع قد اعادته الينا ؟

فالقانون المصري الذي هو أساس القوانين العربية انما وضع ربعه من الشريعة الاسلامية الغراء وثلاثة أرباعه من مدونة جستنيان التي كان لنا الأثر الأكبر في صنعها كما رأينا اذ كانت الفقرات التي من وضع عربي أو من وضع طلاب عرب أو طلاب اساتذة عرب قد بلغت ٧٣٥٤ فقرة من أصل ٩١٢٤ ،

